افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي (لعبد الكريم الباز)

عبد العزيز محمد اللميلم
أستاذ مساعد بكلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

احتوى البحث على ١٧٤ صفحة من الحجم المتوسط.

وقد تطرق فيه الباحث إلى عدد من الموضوعات حيث قسم بحثه إلى :

مقدمة وتمهيد وثلاثة أقسام وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في بحثه، وأخيراً أعد فهرساً للموضوعات في نهاية البحث.

المقدمة :

تحدث فيها عن البواعث لاختيار الموضوع حيث أشار فيه إلى أنه قد قصر هذا البحث على الرد على اثنين ممن تعرضوا لتاريخ الاسلام وهما : فيليب حتي، وكارل بروكلمان، وذلك بتقديم دراسة نقدية لبعض الآراء الموجودة في كتابيهما «تاريخ العرب مطول/ فيليب حتي» ، «تاريخ الشعوب الاسلامية/ كارل بروكلمان» لفترة تمتد ما بين البعثة النبوية الشريفة ونهاية العصر العباسي الأول.

التمهيد :

تطرق فيه إلى بداية حركة الاستشراق ودوافعها سواء ما كان منها الديني أو الاستعماري أو الاقتصادي ، كما تحدث عن بعض أهداف الاستشراق حيث قصرها على اتجاهين اثنين أولهما:

أ ــ التشكيك في الاسلام من جميع جوانبه سواء بالنسبة لصحة رسالة النبي ﷺ أو الحديث الشريف أو الفقه الاسلامي أو قدرة اللغة العربية أو فيما يتعلق بالتراث الحضاري أو في إضعاف روح الإخاء الاسلامي بين المسلمين.

ب ــ أهداف علمية خالصة بغية الاستفادة من الجوانب المشرقة في الاسلام.

كما تحدث في التمهيد عن وسائل المستشرقين في الوصول إلى أهدافهم.

هذا بالاضافة إلى حديثه عن مقاييس البحث عند المستشرقين وكيف يزنوها بموازين تناسب أهواءهم بعيدة عن الموضوعية والتجرد، كما تطرق أيضا إلى الخدمات التي قدمها الاستشراق للبحث العلمي.

ثم تناول بشكل سريع مدارس الاستشراق وذكر عدداً منها والأماكن التي توجد فيها تلك المدارس.

وفي نهاية التمهيد قدم تعريفاً بكل من : فيليب حتي، كارل بروكلمان.

القسم الأول :ــ

تحدث فيه عن بعض آراء فيليب حتي في التاريخ الاسلامي في كتابه «تاريخ العرب مطول» والرد عليها، وقد تضمنت تلك الآراء ثلاثة فصول :

أ ــ بعض الآراء في عصر النبوة والرد عليها.

ب ــ بعض الآراء في عصر الخلفاء الراشدين والرد عليها.

جـ ــ بعض الآراء في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها.

القسم الثاني :ــ

اشتمل هذا القسم على بعض آراء كارل بروكلمان في التاريخ الاسلامي في كتابه «تاريخ الشعوب الاسلامية» والرد عليها. وهو مقسم بدوره إلى ثلاثة فصول أيضاً:

أ ــ بعض آراء كارل بروكلمان في عصر الرسول ﷺ والرد عليها.

ب ــ بعض آراء بروكلمان في عصر الخلفاء الراشدين والرد عليها.

جـ ــ بعض آراء بروكلمان في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها.

القسم الثالث :ـــ

وقد قسمه أيضاً إلى ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول :ـــ

أفرد فيه مقارنة بين طريقة كل من المؤلفين في تصوير هذه الآراء والافتراءات وتبريرها حيث ذكر:

أ ـــ القضايا التي اتفق الاثنان على ذكرها.

ب ـــ القضايا التي انفرد بها فيليب حتي.

جـ ـــ القضايا التي انفرد بها كارل بروكلمان.

الجزء الثاني :ـــ تحدث فيه عن واجب رجال التاريخ إزاء هذه الآراء.

الجزء الثالث :ـــ تحدث فيه أيضاً عن بعض الكتاب التي تأثرت بآراء كل من فيليب حتي وبروكلمان، كما عقد فصلاً آخر عرف فيه بعض المراجع التي استفاد منها في بحثه.

الخاتمة :ـــ

أعد خاتمة في نهاية البحث تضمنت النتائج التي توصل إليها الباحث.

المصادر والمراجع :

أعد قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كتابة بحثه.

فهرس الموضوعات :ـــ

أعد في نهاية البحث فهرساً للموضوعات الرئيسية في بحثه.

ملاحظات

والواقع أن هذا البحث ذو قيمة علمية كبيرة لا من حيث التعريف بصاحبي الترجمة، حتي، وبروكلمان وإنما بالنسبة للآراء والمفتريات التي قال بها هذان المؤرخان ضد العروبة والاسلام حيث استطاع تفنيد مزاعمهما ودحضها، فلقد توخى الحقيقة في كثر من الموضوعات التي تطرق إليها وفند فيها الكثير من آرائهما المشبوهة، كما أنار السبيل للبعض ممن يجهلون أهداف ومرامي أمثال هؤلاء من المستغربين أو المستعربين على حد سواء خاصة من يسيرون في ركاب المستشرقين ويوافقونهم على ما يريدون، والسبب في ذلك معروف وهو أنه عندما يسيِّر الاستشراق هؤلاء لمصالحه ويستعين بالبعض من المأجورين من عرب ومسلمين أو من يتسمون بالعروبة والاسلام،إنما يريدون من وراء ذلك أن تكون آراؤهم وأفكارهم حجة يقيمون عليها دعواهم الزائفة في نظرتهم للاسلام وأهله فيما بعد، وليكون هؤلاء المأجورون شهود سوء على الاسلام والعروبة حتى تقوم الحجة على المسلمين بأن هناك من يوافق هؤلاء المستشرقين على دعاواهم الباطلة ضد الاسلام من أبناء العروبة أو أبناء الاسلام بشكل أوسع.

ويمكن أن نضرب لذلك مثلاً عندما فند الباحث بعضا من آراء بروكلمان، ويتمثل ذلك في دحض الآراء التي أدلى بها عن الحجر الأسود وأنه في نظر بروكلمان هو «أقدم وثن معبود هناك في مكة».

والواقع أن الباحث قد وفق في تفنيده لتلك الآراء التي قال بها بروكلمان وأصاب كبد الحقيقة ذلك أن الاسلام والوثنية ضدان لا يجتمعان، فالاسلام حارب الوثنية منذ نشأته وحطم أصنام قريش في الكعبة نفسها، ولو كان الحجر الأسود وثناً كما يدعي بروكلمان لما أبقى عليه الرسول ﷺ عندما دخل مكة فاتحاً ولحطمه كما حطم الأصنام الموجودة داخل الكعبة عندما قرأ قوله تعالى «وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً». كما أن الحجر الأسود موجود مع وجود الكعبة المشرفة، ولم يعرف عن أحد من المسلمين أنه توجه بالعبادة إلى الحجر الأسود، ولم يكن الحجر الأسود أيضاً ضمن معبودات العرب قبل الإسلام.

ولهذا فإن الباحث قد أجاد في دحضه لتلك الشبه والافتراءات بمعلومات قيمة لا تقبل الجدل.

ونحن لا ننكر ما للمستشرقين من فضل في مجال تحقيق التراث العربي والاسلامي إلا أن غالبيتهم وللأسف الشديد إنما يعملون ذلك خدمة لأغراضهم ومراميهم التي من شأنها الحط من قدر وجلال الاسلام.

ولهذا فإن غالبية المستشرقين عندما يكتبون أو يحققون فإنما يسيئون إلى الإسلام والحضارة الاسلامية أكثر مما يخدموها.

ولهذا يجب علينا كباحثين أو قراء أن نفند مزاعمهم الباطلة، ولا مانع من الاستفادة مما كتبوه ولكن يجب أن نأخذ منهم ونحن على حذر مما يكتبون لأن غالبيتهم كانوا يدسون السم في الدسم، لأننا عندما نطالع بعض كتاباتهم نجد الصفحات الكثيرة التي كتبوها عن الاسلام « في موضوع ما » لا غبار عليها ولكنهم

يضعون جملة أو عبارة لا تتجاوز الأسطر، هذه العبارة قد تفسد ماء البحر. ولهذا يجب أن ينبري شبابنا ومؤرخونا للوقوف في وجه هؤلاء المستشرقين خاصة منهم من لا يريد بالاسلام خيراً، وأن يفندوا مزاعمهم ويرفضوا جميع الإدعاءات الباطلة التي يروجونها.

وآمل أن يأتي اليوم الذي يتحمل فيه أبناء الاسلام من مؤرخين وباحثين مسئولية تصحيح المعلومات الخاطئة التي دست على الاسلام بقصد أو بدون قصد.

وعموماً فإن الكتاب «في نظري» بحق قد عالج موضوعات نحن بأمس الحاجة إلى الكشف عنها واظهار زيفها للباحثين والقراء إحقاقاً للحق بالرغم من أن الباحث لم يتطرق إلى كل ما قاله كل من هذين المؤرخين عن العرب والمسلمين في كتبهما التي ألفوها عن الاسلام والعروبة. إلا أن ما ناقشه وحلله يعطينا صورة واضحة عن أهداف الحاقدين على الاسلام من أمثال هذين. كما أن الباحث لم يكتف بتفنيد المزاعم التي قال بها هذان المؤرخان بل إنه أشار إلى عدد من المؤرخين العرب الذين تأثروا بآراء وافتراءات بعض المستشرقين وضمنوا كتبهم بعضاً من هذه المفتريات بحسن نية بالنسبة للبعض أو بسوء نية بالنسبة للبعض الآخر.

وهذا ولا شك يكشف لنا عن كثير من الأمور التي يجب أن نناقشها أثناء قراءة بعض كتابات المؤرخين العرب ممن لهم وجهات نظر تطابق وجهات نظر بعض المستشرقين في نظرتهم للتاريخ الاسلامي، وتكشف لنا أيضا عن كثير من الهفوات التي يقع فيها هؤلاء المؤرخون، وهذا يدفعنا بالتالي إلى التحرز والتأكد مما يكتب عن التاريخ الاسلامي بعامة سواء بالنسبة للمستشرقين أو الشعوبيين أو بالنسبة للبعض ممن ينقلون عن هؤلاء من العرب والمسلمين دون تمحيص أو تدقيق. ولم يكتف الباحث بهذا أيضا بل إنه قدم تعريفاً بأهم المصادر والمراجع التي استفاد منها في بحثه في الرد على آراء بروكلمان، وحتي، من أمثال الطبري وابن الأثير وابن خلدون، هذا فيما يتعلق بمؤرخي الاسلام القدامى أو بالنسبة لمؤرخين غربيين هم من بني جلدتهم من أمثال غوستاف لوبون، توماس أرنولد. وهذه المراجع لا شك أفادته كثيراً في دحض آراء هؤلاء سواء بالنسبة للمؤرخين المسلمين القدامى أو بالنسبة للبعض من مؤرخي الغرب المنصفين. وبالرغم مما بذله الباحث من جهد مشكور في اظهار كثير من الحقائق ،إلا أن هناك بعض الملاحظات التي أود إيرادها للعمل بها مستقبلاً ومنها:

١ — في صفحة ٢٩ أشار المؤلف إلى فيليب حتي بأنه مستشرق.

فهل كان مستشرقاً؟ المعروف أنه لبناني الأصل وتخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت.

٢ — في ص ٣٠ أشار المؤلف إلى اسم كتاب الطبري هكذا «أخبار الرسل والملوك» والمعروف أن اسم كتاب الطبري هو «تاريخ الرسل والملوك» أو «تاريخ الأمم والملوك».

٣ — في ص ٧٤ : يدافع الباحث عن معاوية رضي الله عنه عندما عمل على تولية يزيد العهد.

لا شك أن التبريرات التي أشار إليها الباحث لا تبعد عن الحقيقة، إلا أن مما يؤخذ على معاوية أنه قرب ابنه يزيد وولاه عهده بالرغم من وجود العديد من أبناء الصحابة ممن هم يفضلون يزيد بن معاوية، وربما كان للعاطفة دور في هذا. أما مبدأ ولاية العهد ونظرة الخليفة معاوية لها فلا شك بأنها نظرة فاحصة ذلك أن تولية العهد فيها قضاء على كثير من الفتن المتوقع حدوثها ومنع الإحداث القلاقل، ولكن أسلوب الخليفة في هذا الاختيار هو محل تساؤل.

٤ — ص ٨٦. يحمل الباحث فيليب حتي وزر نشر قصة العباسة، والواقع أن حتي لم يكن أول من أثار تلك الفرية بل سُبق، إلى ذلك بعدد من المستشرقين الذين ناقشوها ونشروها، بل إن هناك وللأسف الشديد من أشار إليها من مؤرخي الاسلام القدامى. وبهذا فإن فيليب حتي ليس هو أول من روَّج لهذه المقولة الكاذبة والمفتراة على العباسة أخت الرشيد.

ويبدو أنها قيلت لتبرير الايقاع بالبرامكة من قبل الرشيد،وأن ما فعله الرشيد تجاههم ما هو إلا انتقام لما فعله جعفر البرمكي، وهو الاختلاء بالعباسة بالرغم من شرط الرشيد بعدم الاختلاء بها.

وعلى أية حال فالواقع يستبعد هذا ويرفضه جملة وتفصيلاً.

٥ — ص ١٤٩ . هل كتب الطبري تاريخه من أول الخلق إلى سنة ٣٠٩ هـ؟. المعروف أن الطبري توفي سنة ٣١٠ هـ وألف كتابه منذ بدء الخليقة حتى سنة ٣٠٢ هـ وألحق عريب بن سعد القرطبي الباقي وهو ما يسمى بـ «صلة تاريخ الطبري» حيث أبتدأ عريب كتابه هذا المسمى كتاب الصلة منذ سنة ٢٩١ هـ واستمر فيه إلى سنة ٣٦٧ هـ ولهذا يجب على الباحث أن يوثق معلوماته وأن يكون دقيقاً فيما يكتبه.

٦ — ص ١٥١ — هل استمر ابن الأثير في كتابه المعروف بـ «الكامل في التاريخ» إلى سنة ٦٢٩ هـ. المعروف أيضاً أن ابن الأثير نهج نفس النهج الذي سلكه الطبري في كتابة مؤلفه أي منذ بدء الخليقة إلى سنة ٦٢٨ هـ بينما لم نر حادثة واحدة أشار إليها ابن الأثير في كتابه الموسوم بالنسبة لسنة ٦٢٩ هـ. ولهذا فإن آخر سنة وقفت عندها كتابة ابن الأثير هي نهاية سنة ٦٢٨ هـ وليست سنة ٦٢٩ هـ بالرغم من أن ابن الأثير قد توفي في سنة ٦٣٠ هـ.

وأخيرا كنت أود لو أن الباحث ركزعلى واحد من هذين المؤرخين وفند آراءه ومزاعمه لكان أفضل «في نظري» فلو فعل ذلك لكفى ولاستطاع أن يدحض جميع المزاعم والافتراءات التي قالها أحدهما عن العرب والاسلام. أما نقده لبعض آرائهما مجتمعة فبالرغم من العديد من الموضوعات التي ناقشها الباحث وحللها وفند فيها مزاعمهما إلا أنه لو ركز على واحد منهما كما أسلفت لاستطاع أن يخرج بنتيجة أفضل مما كانت عليه الآن لأنه سيخصص بحثه لنقد رأي واحد فقط.

فلو فرضنا جدلاً بأنه ركز على الآراء التي أشار إليها كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الشعوب الاسلامية» وقالها عن الاسلام والعروبة، وفند تلك الآراء وناقشها بشكل موضوعي ففي رأيي أنه سيتوصل إلى نتائج تبرز كثيراً من الحقائق التي أغفلها بروكلمان أو تحامل بها على العروبة والاسلام أو تعامى عنها أو ناقشها بما يتناسب وذوقه ونظرته الحاقدة ضد الاسلام وأهله. وبالرغم من ذلك كله فإن الباحث ولا شك قد بذل مجهوداً كبيراً في تفنيد الكثير من المزاعم التي خرج بها على الناس كل من فيليب حتي وكارل بروكلمان.

هذه في الواقع هي أهم الملاحظات التي أشرت إليها وهي في مجموعها لا تمس الجوهر بقدر ما تمس الشكل ولكن أردت أن يعمل بها مستقبلاً، وأسأل الله وأن يوفق الله الباحثين المخلصين في التصدي لأمثال هؤلاء المستشرقين الحاقدين ومن سار على ركابهم ممن ينتمون إلى العروبة والاسلام حتى تظهر الحقائق دون زيف أو تشويه.